ألفاظ الاختيار في القرآن الكريم بين المشيئة الإلهية والإرادة البشرية
دراسة دلالية سياقية

م.م سوسن عبدالله فياض

الجامعة التقنية الوسطى، معهد إعداد المدربين التقنيين

البريد الإلكتروني Email : sawsan-abdullah@mtu.edu.iq

الكلمات المفتاحية: أفعال، الاختيار، القران، الكريم، الفروق، الدلالية.

كيفية اقتباس البحث

فياض ، سوسن عبدالله، ألفاظ الاختيار في القرآن الكريم بين المشيئة الإلهية والإرادة البشرية دراسة دلالية سياقية، مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، شباط ٢٠٢٦، المجلد:١٦ ،العدد:٢ .

هذا البحث من نوع الوصول المفتوح مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي لحقوق التأليف والنشر (Creative Commons Attribution) تتيح فقط للآخرين تحميل البحث ومشاركته مع الآخرين بشرط نَسب العمل الأصلي للمؤلف، ودون القيام بأي تعديل أو استخدامه لأغراض تجارية.

مفهرسة في Indexed
IASJ

مسجلة في Registered
ROAD

The Terminology of Choice in the Holy Quran: Between Divine Will and Human Will
A Semantic and Contextual Study

M.M. Sawsan Abdullah Fayyad
Central Technical University, Institute for the Preparation of Technical Trainers

Keywords : verbs of choice, Quran, semantic differences.

How To Cite This Article
Fayyad, Sawsan Abdullah , The Terminology of Choice in the Holy Quran: Between Divine Will and Human Will A Semantic and Contextual Study,Journal Of Babylon Center For Humanities Studies, February 2026,Volume:16,Issue 2.

This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International License.

Abstract

The phenomenon of synonymy is one of the characteristics that distinguishes our Arabic language, namely the multiplicity of words for a single meaning. However, we do not encounter this phenomenon in Quranic expressions. Every word in the Quranic context has a semantic significance that is unmatched by any other word, even if it is similar in meaning. This is the secret of the miraculous nature of the Quranic text, which is miraculous in its organization, structure, and wording. My study began by demonstrating the semantic differences between the verbs of "choice" mentioned in the Holy Quran (i.e., ikhtara, istafa, ijtaba, athar, fadala, and akhadha). It also sought to understand how each word can carry a specific connotation appropriate to the context in which it appears, as illustrated in the table. The meaning of the verb "ikhtara" is more general and comprehensive than that of other verbs of choice, which are specific to a specific aspect. The study also demonstrated that verbs of choice may be specific to God alone, such as "selected," "selected," and "fadala." They may also be shared in their attribution between God and

humans, but their meanings differ depending on the actor. The study relied on a descriptive-analytical approach by identifying these words in different Quranic contexts and studying their linguistic and Quranic meanings, drawing on linguistic dictionaries and commentary books

الخلاصة :

إنّ ظاهرة الترادف من الظواهر التي انمازت بها لغتنا العربية، وهي تعدد الألفاظ للمعنى الواحد. إلّا إنّنا لا نلمس هذه الظاهرة في التعبيرالقرأني، فكل لفظة في السياق القرأني لها دلالة معنوية لاتعدلها أي لفظة أخرى وإن اقتربت في معناها، وهذا سر إعجاز النص القرأني، فهو معجز بنظمه وتركيبه وصياغة ألفاظه. وقد انطلقت دراستي؛ لبيان الفروق الدلالية بين أفعال" الاختيار" الواردة في القرأن الكريم وهي: (اختار، اصطفى، اجتبى، آثر، فضّل، اتخذ)، وكيف يمكن لكل لفظة أن تحمل إيحاءً خاصاً يناسب المقام الذي وردت فيه كما هو موضح في الجدول رقم (١)، فدلالة الفعل (اختار) أعم وأشمل من أفعال الاختيار الأخرى التي اختصت دلالة كل منها بجانب معين، كذلك بيّن البحث أنّ أفعال الاختيار قد تكون مختصة في إسنادها بالله – سبحانه وتعالى– وحده مثل:(اصطفى، اجتبى، فضّل)، وقد تكون مشتركة في إسنادها بين الله – عز وجل – والإنسان، لكن تختلف دلالتها باختلاف الجهة الفاعلة..

وقد اعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي عن طريق رصد هذه الألفاظ في سياقات قرآنية مختلفة، ودراسة معناها اللغوي والقرآني مع الاستعانة بالمعاجم اللغوية وكتب التفاسير في بيان دلالتها المعنوية..

المقدمة:

الحمد لله الذي أنزل على عبده الفرقان، بلغة الإفصاح وجمال البيان، وصلّ اللهم وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد

فإنّ لغتنا العربية لغة شرفها الله على مرّ العصور، فهي أعرق لغات العالم، ولا يضاهيها أي لغة أخرى ، ويكفيها شرفاً أن كانت لغة القرآن الكريم، الذي أعجز الثقلين من الإنس والجن، ببراعة إسلوبه ودقة ألفاظه، فهناك ألفاظ تبدو مترادفة في ظاهرها وفي المعنى العام ، لكنها تحمل في جوهرها معانٍ ودلالات مختلفة، لا تعدلها أي لفظة أخرى وهذا سر الاعجاز القرآني.

إنّ قضية اللفظ والمعنى من القضايا التي شغلت علماؤنا منذ القدم، وكانت موضع اهتماماتهم ودراساتهم، فالألفاظ والمعاني القرآنية هي ذاتها الألفاظ والمعاني التي نستعملها في لغتنا، لكن إعجازه كان في نظمه وتركيبه، وفي صياغة هذه الألفاظ بحيث أعجز العرب، وهم أهل الفصاحة والبيان أن يأتوا بسورة من مثله، بل ولا حتى بآية واحدة، وهذا ما أكده الجرجاني في كتابه دلائل

الإعجاز عند حديثه عن نظرية النظم قائلاً: " إعلم أنْ ليسَ "النظمُ" إلا أن تضعَ كلامكَ الوضعَ الذي يَقتضيهِ "علمُ النحو"، وتعملَ على قوانينهِ وأُصولِه، وتعرفَ مناهجَه التي نُهِجتْ فلا تزيغَ عنها، وتحفَظُ الرُّسومَ التي رُسمتْ لك، فلا تُخِلَّ بشيءٍ منها "[١]

من هنا ارتأت الباحثة أن تجعل من القرآن الكريم ميداناً تطبيقياً؛ للكشف عن دلالة المفردات وتسليط الضوء على الفروق الدلالية لأفعال الاختيار القرآني، وكيف يمكن للفظ الواحد أن تتغير دلالته في السياق القرآني باختلاف الجهة الفاعلة، في محاولة لسبر غور هذه الألفاظ وتعميق الفهم القرآني.

مشكلة البحث

١-- ما الحقول الدلالية لأفعال الاختيار في القرآن الكريم ؟

٢- مالفروق الدلالية بين أفعال الاختيار في القرآن الكريم؟

٣- كيف تختلف دلالة اللفظ الواحد باختلاف الجهة الفاعلة؟

٤- ماأثر السياق في توجيه المعنى؟

أهداف البحث :

١- بيان أهم أفعال الاختيار الواردة في القرآن الكريم.

٢- الوقوف على أثر السياق في تحديد المعنى الدلالي لكل فعل من أفعال الاختيار.

٣- بيّن العلاقة بين الجهة الفاعلة (الله أو الإنسان) والفعل، وأثرها في تغير الدلالة.

٤- إبراز الجانب البلاغي في توظيف هذه الألفاظ.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في إعطاء قراءة دلالية معاصرة لمعنى الاختيار في القرآن الكريم، عن طريق الجمع بين التحليل اللغوي والسياقي، وتسليط الضوء على العلاقة بين الفاعل والفعل وأثره في تغير الدلالة .

منهج البحث:

اعتمدت الباحثة في البحث على المنهج الوصفي والتحليلي في تحليل آيات الاختيار في القرآن الكريم، وذلك بالاستعانة بالتفاسير والمعاجم اللغوية ، والوقوف على البنية اللغوية والدلالية لكل لفظة.

خطة البحث:

انتظمت الدراسة في ثلاثة مباحث، مسبوقة بمقدمة ومختومة بأهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة وكانت كالآتي:

١- المقدمة

٢- المبحث الأول: مدخل نظري لمفهوم الاختيار وأهم حقوله الدلالية.

٣- المبحث الثاني: ألفاظ الاختيار بين الإرادة الإلهية والذات البشرية.

٤- بلاغة الاختيار في السياق القرآني.

٥- الاستنتاجات .

المبحث الأول

التعريف بمفهوم الاختيار وأهم حقوله الدلالية.

الاختيار: هو مصدر على زنة افتعال للفعل (اختار) وأصله من الخير، فنقول هذا رجلٌ خيّر، وهذه امرأةٌ خيّرة اذا اتصفا بعمل الخير. قال ابن فارس:" الخاء والياء والرّاء أصله العطف والميل، ثمّ يحمل عليه. فالخير: خلاف الشّرّ؛ لأنّ كلّ أحد يميل إليه ويعطف على صاحبه. والخيرة: الخيار. والخير: الكرم. والاستخارة: أن تسأل خير الأمرين لك. وكلّ هذا من الاستخارة، وهي الاستعطاف. ويقال استخرته. قالوا: وهو من استخارة الضّبع، وهو أن تجعل خشبة في ثقبة بيتها حتّى تخرج من مكان إلى آخر. وقال الهذليّ:

لعلّك إمّا أمّ عمرو تبدّلت ... سواك خليلا شاتمي تستخيرها"[٢]

وعرفه علماء اللغة اصطلاحا: "طلب ما هو خير وفعله، وقد يقال لما يراه الإنسان خيرا، وإن لم يكن خيرا، وقوله:" ولقد اخترناهم على علم على العالمين" [الدخان/ ٣٢] ، يصحّ أن يكون إشارة إلى إيجاده تعالى إياهم خيرا، وأن يكون إشارة إلى تقديمهم على غيرهم. والمختار في عرف المتكلّمين يقال لكلّ فعل يفعله الإنسان لا على سبيل الإكراه"[٣]

وهذا يعني أنّ الاختيار هو التمييز بين امرين وأخذ ما يراه الانسان في رأيه خيرا، فهو يميل إلى ما يبدو له خيرا وقد يكون خيرا له أو شرا له. وقد ورد " الاختيار" في القرآن الكريم بهذا اللفظ في مواطن عدة اختلفت في دلالتها حسب الفاعل إن كان مسندا إلى الذات الإلهية أم إلى النفس البشرية، و سأفصل القول فيها لاحقا إن شاء الله كما ورد الاختيار بألفاظ مقاربة في معناها جاءت في القرآن الكريم لتعطي معنى الاختيار، لكن مع فروق دلالية جعلت كل لفظة مناسبة في موضعها والسياق التي جاءت به. وسأحاول الوقوف- إن شاء الله- على المعنى الدقيق لكل لفظة وفق نظرية الحقول الدلالية.

الحقول الدلالية لألفاظ الاختيار في القران الكريم:

تعد نظرية الحقول الدلالية من أبرز النظريات الحديثة التي ظهرت في القرن العشرين على يد علماء اللغة المحدثين التي تنص على أنّ المفردات لا تعيش منعزلة عن بعضها البعض، بل

ترتبط مع بعضها بعلاقات دلالية مشتركة، يقول أحمد مختار عمر:" الحقل الدلالي هو مجموعة من الكلمات التي ترتبط من حيث المعنى وتدور حول فكرة عامة أو مفهوم مشترك، وتتميز فيما بينها بفروق دلالية في المعنى"[٤]

واستنادا إلى هذا المبدأ فهناك ألفاظ في القرآن الكريم تشترك في حقل دلالى واحد هو (الاختيار) لكنها تتمايز فيما بينها بفروق دلالية وفق السياق الذي جاءت به، ومن هذه الألفاظ التي تنطوي تحت معنى الاختيار:

أ- آثر:

لو أتينا إلى المعنى اللغوي للفعل آثر، نجد أنّ فيه دلالة الاختيار، قال الأصمعيّ:" آثرتك إيثارا، أي فضّلتك. وفلان أثير عند فلان، وذو أثرة، إذا كان خاصّا به. ويقال: قد أخذه بلا أثرة، وبلا إثرة، وبلا استئثار، أي لم يستأثر على غيره، ولم يأخذ الأجود، وقال الحطيئة يمدح عمر رضي الله عنه:

ما آثروك بها إذ قدّموك لها لكن لأنفسهم كانت بها الإثر"[٥] ...أي الخيرة والإيثار

وقال ابن فارس عن المعنى المحوري للفعل(آثر):" الهمزة والثّاء والرّاء، له ثلاثة أصول: تقديم الشّيء، وذكر الشّيء، ورسم الشّيء الباقي"[٦]، وحسب قول ابن فارس، أنّ الفعل آثر له ثلاث دلالات، والذي يهمنا في البحث هو أنّ من معانيه، تقديم شي على شيء آخر.

وجاء في التعريفات عن معنى الايثار هو" أن يقدم غيره على نفسه في النفع له والدفع عنه، وهو النهاية في الأخوة"[٧]

نخلص من كل ما سبق، انّ الايثار هو اختيار فيه معنى التقديم والتخصيص بعطاء لم يخص به الآخرين، وهو اجود انواع الكرم، وخير ما وصفهم القران بالايثارهم الأنصار؛ " لإيثارهم إخوانهم المهاجرين وبذل شيء لم يبذله أحد قبلهم، حيث كان الواحد منهم يعرض على أخيه المهاجر أن يطلّق له إحدى زوجاته ليتزوجها "[٨]

والفعل (آثر) من الافعال المتعدية بحرف الجر(على)؛ لان فيه – كما ذكرنا– تقديم شيء على شيء آخر وتخصيصه بأجود أنواع الكرم، قال تعالى على لسان إخوة يوسف:" **قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ** (يوسف:٩١)، اي إنّ الله قد خصّه وفضله دونهم بالعطاء وأي عطاء! قال الرازي :" لقد فضّلك اللّه علينا بالعلم، والحلم والعقل والفضل والحسن والملك" إذ جمع له خيري الدنيا والآخرة " وقوله تعالى:" **بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا** "(الاعلى:١٦) ، والتقدير: تؤثرون الحياة الدنيا على الاخرة .

ومنه قوله تعالى على لسان بني اسرائيل مخاطبين فرعون:" **قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جاءَنا مِنَ الْبَيِّناتِ**" (طه: ٧٢)، أي لانخصك ونقدمك بالعبادة على الله سبحانه وتعالى، يقول ابن عاشور:" اي: لا نؤثرك في الرّبوبيّة على الّذي فطرنا"[٩]

ب- اصطفى:

ومن الأفعال التي جاءت بمعنى الاختيار، الفعل اصطفى وهو فعل مزيد على زنة افتعل من الفعل (صفا)؛ للدلالة على المبالغة والتكلف في الصفاء، قال ابن فارس:" الصّاد والفاء والحرف المعتلّ أصل واحد يدلّ على خلوص من كلّ شوب. من ذلك الصّفاء، وهو ضدّ الكدر ؛ يقال: صفا يصفو، إذا خلص. يقال: لك صفو هذا الأمر وصفوته. ومحمّد صفوة اللّه تعالى وخيرته من خلقه، ومصطفاه صلى الله عليه وآله وسلم. والصّفيّ: ما اصطفاه الإمام من المغنم لنفسه، وقد يسمّى بالهاء: الصّفيّة، والجمع: الصّفايا. قال: لك المرباع منها والصّفايا ... وحكمك والنّشيطة والفضول"[١٠]

وجاء في لسان العرب "والاصطفاء: الاختيار، افتعال من الصّفوة. ومنه: النبيّ، صلى الله عليه وسلم، صفوة اللّه من خلقه ومصطفاة، والأنبياء المصطفون، وهم من المصطفين إذا اختيروا، وهم المصطفون إذا اختاروا"[١١]. وهذا النوع من الاختيار خاص بالله سبحانه وتعالى، قال الراغب:" واصطفاء الله بعض عباده قد يكون بإيجاده تعالى إيّاه صافيا عن الشّوب الموجود في غيره، وقد يكون باختياره وبحكمه وإن لم يتعرّ ذلك من الأوّل، قال تعالى:**اللّه يصطفي من الملائكة رسلا ومن النّاس**"(الحج: ٧٥)[١٢]

نخلص من ذلك أنّ الاصطفاء هو اختيار مقرون بتشريف وعلو المكانة؛ لانّ فيه دلالة الخلوص والنقاء من الكدر، والشوب الموجود في غيره ولو تأملنا النصوص القرآنية ، نجد أنّ الاصطفاء يكن للتكليف بمهمة عظيمة، وهواختيار مرضٍ؛ لأنه من الله فهو يعلم بعلمه الأزلي من هم أهلا لحمل المنهج والتكليف السماوي، قال تعالى: { **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا**} [سورة فاطر:الآية: ٣٢] .

ج- فضل:

ورد الفعل (فضّل) في اللغة العربية ليعطي معنى الاختيار، قال ابن فارس عن المعنى الأصلي للفعل:" الفاء والضّاد واللّام أصل صحيح يدلّ على زيادة في شيء. من ذلك الفضل: الزّيادة والخير. والإفضال: الإحسان. ورجل مفضل. ويقال: فضل الشّيء يفضل، وربّما قالوا فضل يفضل، وهي نادرة. وأمّا المتفضّل فالمدّعي للفضل على أضرابه وأقرانه. قال اللّه تعالى في ذكر من قال:{ **ما هذا إلّا بشر مثلكم يريد أن يتفضّل عليكم**} [المؤمنون: ٢٤] "[١٣].

وجاء في مفردات الراغب" الفضل: الزّيادة عن الاقتصاد، وذلك ضربان: محمود: كفضل العلم والحلم، ومذموم: كفضل الغضب على ما يجب أن يكون عليه. والفضل في المحمود أكثر استعمالا، والفضول في المذموم"[١٤]

نخلص من أقوال العلماء أنّ التفضيل هو اختيار فيه زيادة في العطاء للمفضل من غير انتقاص من منزلة الأطراف الأخرى.

د- اجتبى:

وهو من الافعال التي وردت في القرآن الكريم بمعنى الاختيار، وأصله من الجبي وهو مادل على الجمع، ومنه جبي الماء، وجباية الأموال، جاء في تهذيب اللغة للأزهري" الجبا مقصور ما حول البئر، والجبا بكسر الجيم: ما جمعت في الحوض من الماء، ويقال له أيضا: جبوة وجباوة. قلت: الجبى ما جمع في الحوض من الماء الّذي يستقى من البئر".[١٥]وقال ابن فارس: "الجيم والباء وما بعده من المعتلّ أصل واحد يدلّ على جمع الشّيء والتّجمّع. يقال جبيت المال أجبيه جباية، وجبيت الماء في الحوض. والحوض نفسه جابية. قال الأعشى:

تروح على آل المحلّق جفنة ... كجابية الشّيخ العراقيّ تفهق".[١٦]

وهذا يعني ان الجبي هو الدلالة على الضم والجمع، ومن الطبيعي ان يكون ذلك الجمع للشيء المرغوب في تحصيله للحاجة إليه، وقد ورد بهذه الدلالة اللغوية في القران الكريم في قوله تعالى: **{يجبى اليه ثمرات كل شي}** أي:" يجلب إلى ذلك الحرم، ويجمع إليه، ويحمل من الشام ومصر والعراق ومن أوروبا وآسيا وأفريقيا وأمريكيا وغيرها برا وبحرا وجوا {ثمرات كلّ شيء} من أنواع الثمار والفواكه والحبوب؛ أي: يحمل ويجلب إليه أنواع الثمرات والفاكهات والخضروات والأبازير والبضاعات، من مشارق الأرض ومغاربها، برا وبحرا وجوا، فلا ترى شرقي الفواكه ولا غربيّها مجمعة إلا في مكة، لدعاء إبراهيم عليه السلام"[١٧]

وجاء الفعل(اجتبى) مزيدا في القران للدلالة على الاختيار، ووجه الشبه أنّ الجباية تكون لامر مرغوب في تحصيله وفيه معنى التقريب، ومجيء الفعل اجتبى في القرآن الكريم على صيغة افتعل للدلالة على المبالغة في التقريب والأكرام، قال تعالى: **{ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ}** [سورةالشورى: الآية ١٣]، إذ نجد النص القرآني قدّم الجار والمجرور(إليه) على المفعول به (من) للدلالة على التقريب وتخصيصه به جل وعلا. وهذا يعني أنّ الاجتباء يدل على اختيار شيء مرغوب في تحصيله، ويكون بعد إعداده وتهيئته للمهمة التي وكل بها، وقد ورد في القران الكريم بهذه الدلالة في عشرة مواضع جاء في جميعها الفعل مزيدا على وزن افتعل للدلالة على المبالغة في الاعداد والتهيئة لمعالي الامور.

هـ- اتّخذ: وهو من أفعال التحويل والصيرورة التي تتعدى إلى مفعولين، ومن معانيه التي جاء بها هو الاختيار، جاء في تاج العروس" ومعنى الأخذ والتّخذ واحد، وهو حوز الشيء وتحصيله، ثمّ قال: والاتّخاذ يعدّى إلى مفعولين ويجرى مجرى الجعل، وهو في القرآن على ثلاثة عشر وجها."[١٨]وهذا يعني أنّ الفعل اتخذ يمتلك ثراءً دلالياً وبلاغياً لايمكن تحديد دلالته بدون السياق الذي وردت فيه. ومن أبرز المواضع الذي ورد فيه الفعل اتخذ للدلالة على الاختيار، قوله تعالى: **{ لَوْ أَرادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً لاصْطَفى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشاءُ سُبْحانَهُ هُوَ اللَّهُ الْواحِدُ الْقَهَّارُ}**[سورة الزمر: الآية:٤]، فاقتران النص القرأني بين الفعلين (اتخذ) و(اصطفى)، فيه دلالة على تقارب دلالتهما في الاختيار. والفعل اتّخذ فعل مزيد على زنة افتعل وأصله أخذ إلّا إنّه" أدغم بعد تليين الهمزة وإبدال التّاء، ثمّ لمّا كثر استعماله على لفظ الافتعال توهّموا أنّ التّاء أصليّة فبنوا منه فعل يفعل فقالوا (تخذ) يتخذ"[١٩].

٢- المبحث الثاني: ألفاظ الاختيار بين الإرادة الإلهية والذات البشرية

وبعد هذا العرض لألفاظ الاختيار، وبيان المعنى اللغوي لكل منهما، وجدت الباحثة من هذه الألفاظ ماكانت مسندة إلى الذات الإلهية فقط، ومنها ما جاءت مشتركة بين الذات الإلهية والذات البشرية، وسأقف في هذا المبحث على دلالة هذه الألفاظ عند إسنادها إلى الفاعل وفق سياق الكلام الذي جاءت به، فجاء هذا المبحث في مطلبين :

٢-١- المطلب الأول: ألفاظ الاختيار الإلهي

وهذه الألفاظ تشمل ماكانت مختصة بالمشيئة الإلهية فقط، وهو فعل رباني يفضل الله به بعض خلقه على بعض لحكمة إلهية، ويكون هذا الاختيار مقرونا بالتكريم والتكليف لمعالي الأمور، وليس اختيارا يخضع لمعايير بشرية، بل هو اختيار يقوم على علم الله المطلق وحكمته التامة ومن هذه الألفاظ هي:

أ- اصطفى: الفعل اصطفى- كما أسلفت- من الأفعال التي تدل على الخلوص والصفاء من الشوائب للفئة المختارة، وهو اختيار خاص بالله سبحانه وتعالى، وهذا النوع من الاختيار فيه علو الشأن والتكريم لعباده، وورد هذا النوع من الاختيار في القرآن الكريم في ستة عشر موضعا تنوعت فيه الأصناف المختارة ، منها ماكانت في الملائكة، ومنها ماكانت في الرسل، ومنها ماكانت في عباده المتقين، قال تعالى: **{ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ}** [سورة الحج: الآية:٧٥) ،أي أنّ الله اصطفى واختار بعض من الملائكة بدليل (من) التبعيضية لتكليفهم بمهمة سماوية مثل: جبريل الذي كلف بمهمة الوحي، وإسرافيل الذي كلف بمهمة النفخ في الصور وعزرائيل وغيرهما.

وقد يكون الاصطفاء لبعض الأنبياء، قال تعالى:**{ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْراهِيمَ وَآلَ عِمْرانَ عَلَى الْعالَمِينَ}** [سورة ال عمران:الآية: ٣٣]. والاصطفاء –كما قلنا– اختيار مع تشريف وعلو المكانة، فاصطفاء آدم بأن كان أول الخلق، وإسجاد الملائكة له، وإسكانه الجنة، وجعله خليفة الله في الأرض. واصطفاء نوح كان بأن جعله أول الرسل الى الناس، وأبو البشر الثاني.

ومثال اصطفائه للصالحين، قوله تعالى مخاطبا مريم (عليها السلام): **{وَإِذْ قالَتِ الْمَلائِكَةُ يا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفاكِ عَلى نِساءِ الْعالَمِينَ}** [سورة ال عمران:٤٢)، إذ نجد النص القرآني قد أخبر سيدتنا مريم بالاصطفاء مرتين، يقول الشعراوي:" نحن هنا أمام اصطفاءين، الاصطفاء الأول ورد دون أن تسبقه كلمة «على» والإصطفاء الثاني تسبقه كلمة «على» والمقصود بالإصطفاء الأول هو إبلاغ مريم أن الله ميزها بالإيمان، والصلاح والخلق الطيب، ولكن هذا الاصطفاء الأول جاء مجردا عن «على» أي أن هذا الاصطفاء الأول لا يمنع أن يوجد معها في مجال هذا الاصطفاء آخرون، بدليل قول الحق: **{إنّ الله اصطفىءادم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين}** [آل عمران: ٣٣] . ثم أورد الحق سبحانه أنه طهرها، وجاء من بعد ذلك بالاصطفاء الثاني المسبوق ب «على» فقال {واصطفاك على نسآء العالمين} إذن فهذا خروج للرجال عن دائرة هذا الاصطفاء، ولن يكون مجال الاصطفاء موضوعا يتعلق بالرجولة؛ فهي مصطفاة على نساء العالمين، فكأنه لا توجد أنثى في العالمين تشاركها هذا الاصطفاء. لماذا؟ لأنها الوحيدة التي ستلد دون ذكر، وهذه مسألة لن يشاركها فيها أحد"[٢٠]. فهي من صفوة خلقه، وهذا الاختيار إنما كان للتكليف بمهمة سماوية اقتضتها حكمته.

ومن الصالحين الذين اصطفاهم الله – جلّ وعلا– (الملك طالوت) قال تعالى: **{ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفاهُ عَلَيْكُمْ وَزادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ}** [سورةالبقرة: الآية: ٢٤٧]. فالحق سبحانه وتعالى هنا يخبر بني اسرائيل الذين رفضوا أن يكون طالوت ملكا عليهم بأنّه صفوتهم، وقد تميزعنهم بالعلم وقوة الجسم، وهذه من مؤهلات الملك، يقول الشعراوي:" وهو بهذا القول يؤكد إنه لا يوجد فيكم من أهل البسطة والجسامة من يتمتع بصفة العلم. وكذلك لا يوجد من أهل العلم فيكم من يتمتع بالبسطة والجسامة"[٢١]، أي إنّ اصطفاء الله لطالوت من بينهم؛ لأنّه هو من يصلح لهذه المهمة فقد جمع بين صفتي العلم والجسم.

ومن الأصناف المصطفاة، اصطفاء الدين، قال تعالى:**{إِنَّ اللَّهَ اصْطَفى لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}** [سورة البقرة: الآية:١٣٢]، فالله سبحانه اختار لنا صفوة الأديان وأخلصها، ومجيء الجار والمجرور(لكم) فيه دلالة على فضل الله ونعمه، قال ابن عاشور:" لأنّ اصطفى

لك يدلّ على أنّه ادّخره لأجله، وأراد به دين الحنيفيّة المسمّى بالإسلام فلذلك قال: فلا تموتنّ إلّا وأنتم مسلمون."[٢٢]

وهكذا نجد أنّ الاصطفاء اختيار رباني خالص لصفوة عباده؛ للتكليف بمهمة سماوية، ولايمكن لهذا النوع من الاختيار أن يشترك في فعله الانسان.

ب- اجتبى: وهذا الفعل يقارب الاصطفاء في دلالته، فهو اختيار رباني لعباده المقربين والمتصفين بالنقاء والصفاء، لكنه أعمق في بعده الروحي، إذ اختصت دلالته في الاستعمال القراني في الاختيار الرباني لرسله الكرام فقط ،الذين تقع على عاتقهم حمل الرسالة السماوية، ويكون ذلك بعد اعدادهم وتهيأتهم لهذه المهمة السماوية، فهو اصطفاء مع تزكية وتأهيل وإعداد.

ولو تأملنا النصوص القرآنية، نجد أنّ الاجتباء الرباني يحصل للأنبياء بعد الابتلاء، قال تعالى عن ادم عليه السلام **{ وَعَصى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوى. ثُمَّ اجْتَباهُ رَبُّهُ فَتابَ عَلَيْهِ وَهَدى }** [سورة طه: الآيات:١٢١،١٢٢]، فلو تأملنا النص الكريم، نجد إنّ الاجتباء جاء بعد العصيان، وذلك بعد إعداده وتهيئته للمهمة التي وكل بها، قال تعالى:" **{ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِماتٍ فَتابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ}** [سورة البقرة: الآية٣٧]. ومن جميل النص القرآني إنّنا نجد إنّ فعل الاجتباء في النص القرآني لا يسند إلى لفظ الجلالة (الله) وإنما يسند إلى لفظة (رب)، قال الشعراوي:" ولم يقل الحق سبحانه: ثم اجتباه الله، إنما اجتباه ربّه ؛لأن الرب المتولي للتربية والرعاية، ومن تمام التربية الإعداد للمهمة، ومن ضمن إعداد آدم لمهمته أن يمرّ بهذه التجربة، وهذا التدريب في الجنة"[٢٣].

والأمر ذاته حصل مع سيدنا يونس عليه السلام من مخالفة أمر الله، فكان من عقوبته التقام الحوت له، قال تعالى: **{ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تَكُنْ كَصاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ . لَوْلا أَنْ تَدارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ . فَاجْتَباهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ}** [سورة القلم:٤٨،٤٩،٥٠]، فكان اجتباء الله له هو اختيار مع عناية إلهية؛ لإعداده لمهمة الرسالة السماوية قال تعالى: **{ وَأَرْسَلْناهُ إِلى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ}** [سورة الصافات: الآية:١٤٧].

ومثال عناية الله: قوله تعالى مخاطبا نبيه يوسف(عليه السلام):{وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ} فكان اختيار الله سبحانه وتعالى ليوسف من بين اخوته وحفظه من كيد اخوته، وما مرّ به في حياته من مصاعب، هو من تمام عناية الله له؛ لإعداده لمهمة النبوة والرسالة التي كلف بها.

ومنه قوله تعالى في رسله الكرام:**{ فاجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم}** [سورة الاتعام: الآية:٨٧] يقول ابن عاشور:" والمعنى: أنّ اللّه اختارهم فجعلهم موضع هديه لأنّه أعلم حيث

يجعل رسالته ونبوءته وهديه.وعطف قوله: وهديناهم على اجتبيناهم عطفا يؤكّد إثبات هداهم اهتماما بهذا الهدي، فبيّن أنّه هدى إلى صراط مستقيم، أي إلى ما به نوال ما يعمل أهل الكمال لنواله"[٢٤]، وهذا يعني أنّ الاجتباء الرباني هو اصطفاء مع تأهيل وتزكية وإعداد ويحصل للأنبياء بعد الابتلاء.

ج- فضّل: وهو من أفعال الاختيار التي اقتصر إسنادها الى الذات الإلهية، وقلنا إنّ دلالته تعني الاختيار مع زيادة في العطاء أو الرتبة. وقد ورد في الاستعمال القرآني مسندا الى الذات الإلهية بهذه الدلالة على أضرب :

الضرب الأول : التفضيل في الخلق ويشمل:(الأنبياء والأمم والناس)

قال تعالى: **{ وَلَقَدْ فَضَّلْنا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلى بَعْضٍ وَآتَيْنا داوُدَ زَبُوراً}**[سورةالإسراء: الآية:٥٥]، أي إنّ لكل نبي مزية وخصيصة فضّله بها على غيره، ففضّل ابراهيم بكونه خليل الله، وفضّل موسى بكونه كليم الله، وفضّل محمد(عليه الصلاة والتسليم) بإنزال القرآن عليه .

ومن تفضيل الأمم، فقد فضّل بني إسرائيل على العالمين، قال تعالى:**{ وَلَقَدْ آتَيْنا بَنِي إِسْرائِيلَ الْكِتابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ وَفَضَّلْناهُمْ عَلَى الْعالَمِينَ}** [سورة الجاثية: الآية: ١٦] وهذا النوع من التفضيل هو تفضيل زماني أي على أمم زمانهم، يقول ابن عاشور:" وأمّا تفضيلهم على العالمين فبأن جمع اللّه لهم بين استقامة الدّين والخلق، وبين حكم أنفسهم بأنفسهم، وبثّ أصول العدل فيهم، وبين حسن العيش والأمن والرّخاء، فإنّ أمما أخرى كانوا في بحبوحة من العيش ولكن ينقص بعضها استقامة الدّين والخلق، وبعضها عزّة حكم النّفس وبعضها الأمن بسبب كثرة الفتن.والمراد ب العالمين: أمم زمانهم"[٢٥].

وقد يكون التفضيل بين الناس، قال تعالى: **{وَلَقَدْ كَرَّمْنا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْناهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ وَفَضَّلْناهُمْ عَلى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنا تَفْضِيلاً}** [سورة الإسراء: الآية:٧٠]، وهذا النوع من التفضيل جوهري لا سبيل للناقص منهما أن يزيل نقصه. فالانسان فضله الله سبحانه على غيره من المخلوقات، إذ ميّز الانسان عن الحيوان بالعقل والعلم والحكمة، وفي الخلق اذ خلق الانسان في أحسن تقويم وهذا النوع من التفضيل لا سبيل فيه للحيوان أن يزيله. وقد يكون التفضيل عرضي ويمكن اكتسابه كقوله تعالى: "وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ "(النحل:٧١)، وقوله تعالى: **{ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجاهِدِينَ بِأَمْوالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنى}** [سورة النساء:الآية:٩٥]، إذ نجد الآية الكريمة قد بيّنت الدلالة المعنوية للفعل(فضّل)، فكل من المجاهدين والقاعدين وعدهم الله بالحسنى، لكنه زاد بالعطاء (المجاهدين) درجة على أقرانهم.

الضرب الثاني: التفضيل في الأكل، قال تعالى: **{ وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجاوِراتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوانٌ وَغَيْرُ صِنْوانٍ يُسْقى بِماءٍ واحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَها عَلى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}** [سورة الرعد: الآية:٤] فالله سبحانه وتعالى فضّل بعض الثمار على بعض في الطعم رغم نجاورها في المكان وسقيها بماء واحد، وما ذلك إلّا دليل على وحدانية الخالق وبديع صنعه.

نخلص من ذلك أنّ (فضّل) اختيار رباني، فيه زيادة بالعطاء أو في الدرجة والرتبة من غير أن ينقص من مزية الطرف الآخر.

٢-٢- المطلب الثاني: ألفاظ الاختيار المشتركة بين الإرادة الإلهية والذات البشرية .

عند النظر في ألفاظ الاختيار في القرآن الكريم، نجد منها ما جاءت مشتركة في الإسناد بين الذات الإلهية والذات البشرية، إلّا إنها اختلفت في سياقها الدلالي باختلاف الفاعل مما يعكس عمق المعنى القرآني ودقة التعبير، وجمالية النص القرآني حين يوظف اللفظ نفسه ولكن بدلالات مختلفة يحددها السياق، والمقام الذي وردت فيه، ومن هذه الألفاظ:

أ- اختار: وهو من الافعال التي تدل على التمييز والانتقاء - كما اسلفنا في المبحث الأول- واختيار مافيه خير على وجه الحقيقة أو فيما يبدو للفاعل، ومجيئه على زنة افتعل؛ للدلالة على التكلف في طلب ماهو خير، وعند النظر في آيات القرآن الكريم، نجد إنّ هذا الفعل ينسب تارة إلى الله وتارة ينسب إلى الإنسان، ولكن نجد دلالته اختلفت باختلاف السياق الذي وردت فيه.

فلو تأملنا قوله تعالى: **{وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشاءُ وَيَخْتارُ مَا كانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحانَ اللَّهِ وَتَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ}** [سورة القصص: الآية:٦٨]، يقول ابن عاشور عن سبب نزول هذه الآية:" نزلت في مقام اعتراض قريش أن ينزل القرآن على النبي محمد (عليه الصلاة والسلام)، قال تعالى على لسان المشركين :"**وقالوا لولا نزّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم** [الزخرف: ٣١]. يعنون بذلك الوليد بن المغيرة من أهل مكّة وعروة بن مسعود الثّقفيّ من أهل الطّائف"[٢٦]، فجاء الرد القرآني؛ ليبين أنّ الاختيار الإلهي إرادة مطلقة قائمة على علم ودراية وحكمة إلهية ،فهو يعلم مافيه الخير والصلاح وليس اختيارا يعتريه النقص، يقول ابن عاشور: "والتقدير: ويختار ما لهم فيه الخير، أي يختار لهم من الرّسل ما يعلم أنّه صالح بهم لا ما يشتهونه من رجالهم" [٢٧]

وورد الاختيار الإلهي أيضا في النص القرآني مختصا بالنبي (موسى) عليه السلام، قال تعالى: **{وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِما يُوحى}** [سورة طه:الآية:١٣] والتي جاءت في سياق نداء موسى؛ كي ينضم إلى قائمة المكلفين بالنبوة والرسالة، وهو اختيار مرضٍ لأنّه من الله.

أما الاختيار البشري فقد ورد في النص القراني في:

– اختيار موسى لقومه: قال تعالى: **{ وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِمِيقَاتِنَا}** [سورة الأعراف: الآية:١٥٥]، فلو تأملنا النص القرآني هنا، نجد إنّ اختيار موسى كان اختيارا بشريا، فهو اختار من قومه الذين كانوا اثني عشر سبطا اختار من كل سبط خيارهم فيما يراه موسى ممن لم يعبدوا العجل، وهو اختيار محدود قائم على محدودية العقل البشري والذي قد يتأثر بالمواقف والظروف، ولا يرتقي للاختيار الإلهي القائم على علم ودراية، قال تعالى: **{** ولقد اخترناهم على علم}

– اختيار الفاكهة: ورد الاختيار البشري بدلالته اللغوية في التمييز والانتقاء والميل لما تهويه الأنفس في قوله تعالى واصفا نعيم أهل الجنة : **{ وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ }** [سورة الواقعة: الآية: ٢٠]

وهكذا نجد اختلاف دلالة الفعل اختار حسب الجهة الفاعلة، فالاختيار الإلهي اختيارعام مطلق يصدر عن علم ودراية بالأمور ولا يعتريه النقص، ولا يتأثر بالمواقف والأهواء.وقد اختص في النص القرآني باختيار الرسل بشكل عام، واختيار موسى للرسالة. أما الاختيار البشري فهو اختيار محدود يعتريه النقص ويتأثر بالمواقف والأهواء.

ب– آثر: وهو ايضا من الأفعال التي اشتركت في إسنادها بين الله – جلّ في علاه– والانسان. وورد الإيثار الإلهي في القرآن الكريم في موضع واحد مختصا بالنبي يوسف (عليه السلام) قال تعالى: **{ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ}** [سورة يوسف: الآية:٩١]، ودلالة الإيثار هنا تفيد التفضيل بالعطاء، والتخصيص بشيء لم يخص به الآخرين، فقد خصّ الله نبينا يوسف (عليه السلام) دون إخوته بالعلم والحكمة والنبوة .

أما الإيثار البشري فقد ورد في النص القرآني في:

– تقديم الغيرعلى النفس في حظوظ الدنيا؛ لنيل الثواب في الآخرة ،وهذا النوع من الإيثار يمثل بعدا أخلاقيا أثنى الله سبحانه وتعالى على فاعله، وخير ما مدحهم الله – جلّ في علاه – الأنصار، قال تعالى: **{وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ }** [سورة الحشر :الآية:٩]، ومن إيثارهم المهاجرين ما "رواه البخاريّ عن أبي هريرة قال: «أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول اللّه أصابني الجهد. فأرسل في نسائه فلم يجد عندهنّ شيئا فقال النبيء صلى الله عليه وسلم: ألا رجل يضيف هذا اللّيلة رحمه الله، فقام رجل من الأنصار (هو أبو طلحة) فقال: أنا يا رسول اللّه، فذهب إلى أهله فقال لامرأته: هذا ضيف رسول اللّه لا تدّخريه شيئا، فقالت: واللّه ما عندي إلّا قوت الصّبية. قال: فإذا أراد الصّبية العشاء فنوّميهم

وتعالي فأطفئي السّراج ونطوي بطوننا اللّيلة. فإذا دخل الضّيف فإذا أهوى ليأكل فقومي إلى السّراج تري أنّك تصلحينه فأطفئيه وأريه أنّا نأكل. فقعدوا وأكل الضّيف."[٢٨]

– إيثار طاعة الله على طاعة فرعون، قال تعالى على لسان السحرة من قوم موسى: **{** قالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلى مَا جاءَنا مِنَ الْبَيِّناتِ وَالَّذِي فَطَرَنا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قاضٍ إِنَّما تَقْضِي هذِهِ الْحَياةَ الدُّنْيا} [سورة طه:الآية:٧٢]، فهم يرفضون رفضا ابديا عبر أداة النفي (لن) أن يقدموا طاعة فرعون على طاعة الله، وما ذاك الرفض إلّا لطلب رضا الله. وهذا يعني أنّ الإيثار البشري هو تقديم شيء على الآخر والتضحية؛ لنيل المنفعة أو ثواب من الله.

نخلص من ذلك إنّ الإيثار الإلهي إيثار فيه تخصيص الفرد بشيء لم يخصّ به الآخرين لا يقاس بعوض ولا يقابل بالمثل، بل هو منة وفيض رباني، أما الايثار البشري فهو يعني النبل والتضحية.

ج– **اتّخذ:** يشترك الفعل اتخذ في إسناده بين الذات الإلهية والإرادة البشرية. فلو تأملنا النصوص القرأنية الذي أسند فيه الفعل اتخذ الى الذات الإلهية

قال تعالى: **{وَقالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً سُبْحانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قانِتُونَ}** [سورة البقرة: الآية١١٦]

قال تعالى: **{ وَقالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمنُ وَلَداً}** [سورة مريم: الآية:٨٨].

وقوله تعالى: **{** وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْراهِيمَ حَنِيفاً وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْراهِيمَ خَلِيلا} [سورة النساء: الآية:١٢٥]

نجد أنّ الاتخاذ فيه دلالة على الاختيار المصحوب بالتملك المعنوي والتشريفي، او الاضافة إلى الذات، فالمشركين ادّعوا نسبة الولد إلى الله بالتبني كما موضح في سورة البقرة ومريم، أما في سورة النساء وهو اتخاذه ابراهيم خليلا، يقول ابن عاشور:" فأخبر أنّ اللّه اتّخذ إبراهيم خليلا. والخليل في كلام العرب الصّاحب الملازم الّذي لا يخفى عنه شيء من أمور صاحبه"[٢٩].

أما الاتخاذ البشري فهو يحمل دلالة الاختيار التعبدي والعقائدي، قال تعالى: **{ اتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَرُهْبانَهُمْ أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ}**[سورة التوبة: الآية:٣١] يقول ابن عاشور:" ومعنى اتّخاذهم هؤلاء أربابا أنّ اليهود ادّعوا لبعضهم بنوّة اللّه تعالى وذلك تأليه، وأنّ النّصارى أشدّ منهم في ذلك إذ كانوا يسجدون لصور عظماء ملّتهم مثل صورة مريم، وصور الحواريّين، وصورة يحيى بن زكريّاء، والسّجود من شعار الرّبوبيّة، وكانوا يستنصرون بهم في حروبهم ولا يستنصرون باللّه"[٣٠]

– نخلص من كل مما سبق أنّ الاستعمال القرآني لألفاظ الاختيار في القرآن الكريم كان بالغ الدقة، جميلا في موضعه، متسقا في سياقه، مراعيا الفروق الدلالية بين المفردات، إذ جاء كل

في موضعه المناسب الذي لاتعدله أي لفظة أخرى وإن اقتربت منها في الدلالة، وهذا ما أكده عبد القاهر الجرجاني في نظرية النظم قائلا:"أنّ الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجرّدة، ولا من حيث هي كلم مفردة، وأن الفضيلة وخلافها، في ملائمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها [٣١]"

لذا فإنّ التدبر في ألفاظ القران الكريم ومن بينها ألفاظ الاختيار، يكشف لنا روعة البيان القرآني في انتقاء اللفظة المناسبة في المقام المناسب ولا عجب من ذلك فهو"كتاب أحكمت آياته ثمّ فصّلت من لدن حكيم خبير" والجدول الآتي يوضح الفروق الدلالية لألفاظ الاختيار الواردة في القران الكريم واختلاف دلالتها باختلاف الفاعل.

جدول رقم (١)

جدول توضيحي لألفاظ الاختيار الواردة في القرآن الكريم

ت	الفاظ الاختيار	فاعله(المسند إليه)	الدلالة المعنوية	السياق القرآني
١	اختار	الله	اختيار إلهي مطلق مبني على علم ودراية وحكمة	في الغالب يأتي مع موسى وقومه
		الإنسان	اختيار محدود يعتريه النقص مبني على المواقف والأهواء	
٢	آثر	الله	التخصيص بشيء لم يخص به الآخرين	
		الإنسان	النبل والتضحية	
٣	اصطفى	الله	اختيار رباني مقرون بتشريف وعلو مكانة للتكليف بمهمة سماوية	يتعلق بالأنبياء والصالحين من عباده
٤	فضّل	الله	اختيار رباني فيه زيادة بالعطاء للمفضل،ومن غير انتقاص من منزلة الطرف الآخر	يستعمل في الغالب عند التفضيل لبني اسرائيل أو الأنبياء

٥	اجتبى	الله	اصطفاء مع إعداد وتأهيل وتزكية	يستعمل عادة مع الأنبياء بعد الابتلاء
٦	اتخذ	الله	التملك المعنوي التشريفي	
		الانسان	الاختيار التعبدي والعقائدي	

المبحث الثالث

بلاغة الاختيار في السياق القرآني

يمتاز التعبير القرآني بدقة استعماله للفظة، وتوظيفها وفق المقام والسياق التي ترد فيه. وقد تعددت ألفاظ الاختيار في النص القرآني وكان لكل لفظة دلالة معنوية خاصة تميزها عن اللفظة الأخرى. وتكمن بلاغة القرآن الكريم في أنّ كل فعل من أفعال الاختيار استعمل في سياق ومقام لا يمكن لأي فعل آخر أن يحلّ محله دون أن يخل بالمعنى المقصود، وهذا سر الإعجاز القرآني وسأحاول الوقوف على نماذج من النصوص القرآنية.

- بين الفعل(اختار) والفعل (اصطفى)

لو وازنا بين الفعلين (اختار) و(اصطفى) اللذين يظهران أنّهما مترادفان في المعنى العام وهو الاختيار، نجدهما متفقين في الدلالة الصرفية، فكلاهما على وزن(افتعل) الذي من دلالاته التكلف والمبالغة، كذلك نجدهما من الأفعال المتعدية بنفسها، لكن الدقة في الاستعمال القرآني للفظين ضمن السياقات المختلفة، بيّنت الفروق الدلالية بينهما .

لنتأمل الآيات القرآنية الآتية:

قال تعالى في سورة طه: **{** وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِما يُوحى} [سورة طه:الآية:١٣]

وقال تعالى في سورة الأعراف: **{ قالَ يَا مُوسى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسالاتِي وَبِكَلامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ}** [سورة الأعراف:الآية: ١٤٤]

نجد النص القرآني في سورة طه وظّف الفعل(اختار) في خطابه مع النبي موسى (عليه السلام)، في حين نجد النص القرآني في سورة الأعراف وظّف الفعل (اصطفى). والسؤال هنا: لِمَ استعمل التعبير القرآني لفظة (اختار) في سورة طه، بينما استعمل لفظة(اصطفى) في سورة الأعراف؟ مع إنّه الفاعل في الآيتين واحد وهو الله سبحانه وتعالى، والمفعول به في الآيتين واحد وهو موسى (عليه السلام).

وللإجابةعن هذا السؤال، نحاول أن نمعن النظر في التعبير القرآني؛ لنجد ما نراه كافيا لتعزيز القول بعدم ترادفهما، وأنّه لا يمكن أن تحل احداهما مكان الأخرى. والجواب هنا- والله أعلم- إنّ

استعمال التعبير القرآني للفظة (اختار) في سورة طه جاءت في سياق نداء موسى؛ للتكليف بالنبوة وهو أول نداء بالتكليف والوحي، وهذا الاختيار عام لا فيه تخصيص؛ لأنه يضم فيه إلى جماعة المكلفين بالنبوة والرسالة. أما في سورة الأعراف نجد التعبير القرأني استعمل لفظة (اصطفى)؛ لأنّها جاءت في سياق تذكير موسى بنعم الله عليه وهذا النداء بعد الرسالة والتكليف، فجاء بلفظة اصطفى؛ للدلالة على اختيار خاص خصّ به النبي موسى دون غيره من الأنبياء، وذلك باصطفائه بالرسالة والتكليم، فقال في النص القرآني (برسالاتي وبكلامي)، وهيّ المنزلة التي شرفه الله بها حتى سميّ (كليم الله).

من هنا نخلص إلى أنّ (الاختيار) أعم وأشمل من (الاصطفاء) إذ إنّ الاخير يدل على اختيار خاص مقرون بالنقاء والتشريف الإلهي وعلو المكانة.

- بين الفعلين(اتخذ) و(اصطفى)

لو تأملنا قوله تعالى:{ لَوْ أَرادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً لاصْطَفى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشاءُ سُبْحانَهُ هُوَ اللَّهُ الْواحِدُ الْقَهَّارُ} [سورة الزمر: الآية:٤]، والتي نزلت في سياق رد مزاعم المشركين، وإبطال ادعاءاتهم في نسبة الولد لله، نجد روعة الجمال القرآني في استعماله لهذين الفعلين دون غيرهما، وترتيبهما بشكل يعد من أبلغ ماورد في سياق نفي نسبة البنوة لله، إذ بدأ النص القرآني بإسلوب شرطي افتراضي عبر أداة الشرط (لو) التي تتطلب فعلين: فعل الشرط، وجواب الشرط، وهنا تتجلى بلاغة التعبير القرأني وعمق الدلالة القرأنية، فبدأ بفعل الشرط (اتخذ) لا(اختار)،أو اصطفى أو غيرهما من الأفعال؛ لأنّ الفعل اتخذ فيه دلالة الاختيارمع التملك وهذا يناسب ادّعاء الكفار حين نسبوا الولد لله، قال تعالى:{ **وَقالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً سُبْحانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قانِتُونَ**} [سورة البقرة: الآية:١١٦]. أما جواب الشرط، فجاء التعبير القراني بالفعل(اصطفى) أي لو أراد الله أن يتخذ ولدا- وحاش لله ذلك - لاختار صفوة خلقه، فجاء بالفعل اصطفى ؛لأنّه أعلى وأشرف درجات الاختيار.

- ماذا لو استبدل الفعلان بغيرهما؟

١- لو قيل: (لو أراد الله أن يختار ولدا)، لفقد التعبير القرآني بلاغته؛ لأن الاختيار يدل على التمييز والانتقاء من متعدد، وهذا لا يصلح مع (الولد). والأمر ذاته لو استعملنا اصطفى، أو اجتبى بدل اتخذ.

٢- لو قيل في جواب الشرط: (لاختار من خلقه مايشاء)، لما أدى المعنى المقصود؛ لأنّ اختار عام وليس بالضرورة أن يكون صفوة خلقه. والتعبير القرآني يريد أن يثبت أنّه لو كان الأمر كما تدعون، لاختار صفوة الخلق، فجاء بالاصطفاء ؛لأنّه - كما قلنا- أعلى مراتب الاختيار

كذلك لم يأت التعبير القرآني بالفعل(آثر)أو(فضّل)؛ لأنّ الفعلين يدلّان على الاختيار مع تفضيل بين شيئين وهذا لا يناسب السياق الذي جاءت به الآية.

٣- لم يأت التعبير القرآني بالفعل(اجتبى) بدل فعل الشرط أو جوابه؛ لأنّ الفعل اجتبى خاص بالأنبياء بعد الابتلاء وهذا لا يناسب المقام الذي جاءت به الأية.

من هذا نخلص إنّ لكل لفطة في التعبير القرآني دلالتها الخاصة، وسياقها المناسب الذي لاتعدله أي لفظة أخرى. وهذا يذكرنا بقول الجاحظ:" المعاني مطروحة في الطريق، يعرفها العجمي والعربي، والبدوي والقروي، وإنما الشأن في إقامة الوزن، وتخير اللفظ ، وجودة السبك" [٣٢]

الاستنتاجات :

وبعد هذه النزهة في رحاب كتاب الله العزيز، وإمتاع النظر والفكر بعذوبة ألفاظه وجمال إسلوبه وروعة بيانه، توصلت الباحثة إلى جملة من النتائج يمكن إجمالها كالآتي:

١- يؤدى معنى الاختيار في القرآن الكريم بألفاظ متقاربة في المعنى لكنها غير مترادفة ترادفا تاما هي: (اختار، اصطفى، اجتبى، آثر، فضّل، اتخذ)

٢- الفعل (اختار) عام ومطلق، وهو أوسع وأشمل من أفعال الاختيار الأخرى التي كانت مختصة بجانب معين. ويعد الاصطفاء أعلى وأشرف مراتب الاختيار.

٣- بعض أفعال الاختيار تكون مختصة في إسنادها إلى الله، مثل(اصطفى،اجتبى،فضّل)، وبعضها تكون مشتركة في إسنادها بين الله – جلّ في علاه- والإنسان مثل(اختار، آثر، اتخذ).

٤- تختلف دلالة كل فعل من أفعال الاختيار في السياق القرآني باختلاف الجهة الفاعلة (الله أو الانسان)

٥- يتقارب الفعلان (اصطفى و اجتبى) دلاليا، إذ كل منهما اختيار ربّاني خالص لصفوة خلقه وخاصته، لكن الاصطفاء جاء في القرآن الكريم فيمن اتصفوا بالنقاء والطهر من (الأنبياء والملائكة والناس).أما الاجتباء فهو اختيار رباني خالص لأنبيائه فقط بعد الابتلاء، أي اصطفاء بعد الإعداد والتأهيل.

٦- يتقارب الفعلان (آثر و فضّل) دلاليا في المفهوم العام وهو التفضيل بالعطاء، إلّا إنّ آثر اختيار فيه تفضيل وتخصيص بشيء لم يخصّ به الآخرين، أما فضّل فهو اختيار فيه زيادة بالعطاء للمفضل، لكن من غير انتقاص من منزلة الطرف الآخر.

الهوامش

[١] دلائل الإعجاز ٨١/١
[٢] مقاييس اللغة ٢٣٣/٢
[٣] مفردات في غريب القرآن ص٣٠١-٣٠٢
[٤] علم الدلالة ص ٩٧
[٥] ينظر: تهذيب اللغة للأزهري ٨٩/١٥
[٦] مقاييس اللغة ٥٣/١
[٧] التعريفات ص ٤٠
[٨] تفسير الشعراوي ١٩/ ١٢١٣٦
[٩] التحرير والتنوير ٢٦٦/١٦
[١٠] مقاييس اللغة ٢٩٢/٣
[١١] لسان العرب ٤٦٣/١٤
[١٢] مفردات في غريب القرآن ، ص٤٨٧-٤٨٨
[١٣] مقاييس اللغة ٥٠٨/٤
[١٤] مفردات في غريب القرآن ، ص ٦٣٩
[١٥] تهذيب اللغة للأزهري ١١/ ١٤٥
[١٦] مقاييس اللغة ١/ ٥٠٣
[١٧] تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن ٢٣٩/٢١
[١٨] تاج العروس من جواهر القاموس ٣٧٠/١٩
[١٩] مختار الصحاح ، ص ١٤
[٢٠] تفسير الشعراوي ٣/ ١٤٥٣
[٢١] المصدر نفسه ٢/ ١٠٤٧
[٢٢] التحرير والتنوير ١/ ٧٢٩
[٢٣] تفسير الشعراوي ١٥/ ٩٤٣٣
[٢٤] التحرير والتنوير ٧/ ٣٥٠
[٢٥] المصدر نفسه ٢٥/ ٣٤٥
[٢٦] المصدر نفسه ٢٠/ ١٦٤
[٢٧]. المصدر نفسه ٢٠/ ١٦٥
[٢٨] التحرير والتنوير ٩٣/٢٨
[٢٩] التحرير والتنوير ٥/ ٢١١
[٣٠] التحرير والتنوير ١٧٠/١٠
[٣١] دلائل الإعجاز ٤٦/١

[٣٢] الحيوان، ٣/٦٧

المصادر:

•القرآن الكريم

•ابو الحسين أحمد ابن فارس. (١٩٦٩-١٩٧٢م). مقاييس اللغة. دار الفكر- بيروت: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.

•ابو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني. (ط ١ - ١٤١٢هـ). مفردات في غريب القرآن. دمشق- بيروت: دار القلم- الدار الشامية.

•أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني. (١٤١٣هـ-١٩٩٢م). دلائل الإعجاز في علم المعاني. القاهرة: مطبعة المدني.

•أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ. (١٤٢٤هـ). الحيوان. بيروت: دار الكتب العلمية.

•أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري. (٢٠٠١م). تهذيب اللغة. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

•أحمد مختار عمر. (١٩٨٢م). علم الدلالة. القاهرة: عالم الكتب.

•الطاهر بن عاشور. (١٩٨٤م). التحرير والتنوير. تونس: الدار التونسية للنشر.

•زين الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر الرازي. (١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م). مختار الصحاح. بيروت- صيدا: المكتبة العصرية - الدار النموذجية.

•علي بن محمد الجرجاني الشريف. (١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م). التعريفات. بيروت- لبنان: دار الكتب العلمية.

•محمد الأمين بن عبدالله الشافعي. (١٤٢١هـ- ٢٠٠١م). حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن. بيروت - لبنان: دار طوق النجاة.

•محمد بن مكرم بن منظور. (١٤١٤هـ). لسان العرب. بيروت: دار صادر.

•محمد متولي الشعراوي. (١٩٩٧م). تفسير الشعراوي. مطابع أخبار اليوم.

•محمد مرتضى الزبيدي. (١٩٦٥-٢٠٠١م). تاج العروس من جواهر القاموس. الكويت: وزارة الإرشاد والأنباء.

Sources:

•The Holy Quran

•Abu al-Husayn Ahmad ibn Faris. (1969-1972 CE). Muqayis al-Lughah (Dictionary of Language Standards). Dar al-Fikr - Beirut: Mustafa al-Babi al-Halabi & Sons Library and Printing Company.

•Abu al-Qasim al-Husayn ibn Muhammad al-Raghib al-Isfahani. (1st ed. - 1412 AH). Mufradat fi Gharib al-Qur'an (Vocabulary of the Strange Words of the Qur'an). Damascus-Beirut: Dar al-Qalam - al-Dar al-Shamiyyah.

•Abu Bakr Abd al-Qahir ibn Abd al-Rahman al-Jurjani. (1413 AH - 1992 CE). Dala'il al-I'jaz fi 'Ilm al-Ma'ani (Proofs of Inimitability in the Science of Meanings). Cairo: al-Madani Press.

•Abu Uthman Amr ibn Bahr al-Jahiz. (1424 AH). Al-Hayawan (The Book of Animals). Beirut: Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah.

•Abu Mansur Muhammad ibn Ahmad al-Azhari. (2001 CE). Tahdhib al-Lughah (Refinement of Language). Beirut: Dar Ihya' al-Turath al-'Arabi.

•Ahmad Mukhtar Umar. (1982 CE). 'Ilm al-Dalalah (The Science of Semantics). Cairo: 'Alam al-Kutub.
•Al-Tahir ibn Ashur. (1984 CE). Liberation and Enlightenment. Tunis: Tunisian Publishing House.
•Zayn al-Din Abu Abdullah Muhammad ibn Abi Bakr al-Razi. (d. 1420 AH/1999 CE). Mukhtar al-Sihah. Beirut-Sidon: Al-Maktabah al-Asriyyah - Al-Dar al-Namudhajiyyah.
•Ali ibn Muhammad al-Jurjani al-Sharif. (d. 1403 AH/1983 CE). Definitions. Beirut-Lebanon: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah.
•Muhammad al-Amin ibn Abdullah al-Shafi'i. (d. 1421 AH/2001 CE). Gardens of the Soul and Fragrance in the Hills of Qur'anic Sciences. Beirut-Lebanon: Dar Tawq al-Najat.
•Muhammad ibn Mukarram ibn Manzur. (d. 1414 AH). Lisan al-Arab. Beirut: Dar Sader.
•Muhammad Metwally al-Sha'rawi. (1997 CE). Al-Sha'rawi's Interpretation. Akhbar al-Yawm Press.
•Muhammad Murtada al-Zabidi. (1965-2001 CE). Taj al-'Arus min Jawahir al-Qamus. Kuwait: Ministry of Guidance and Information.